

الإمكان . وفي حال تحقق هذه الشرعية ، يصبح من الممكن لإسرائيل أن تفاوض الدول العربية حول النزاعات الإقليمية .

ومع ذلك فإن إسرائيل انتهجت حتى الآن سياسة خارجية تمزيقية في المنطقة ، بسبب احساسها بالتهديد . أو بلغة كيسينجر ، فإن إسرائيل انتهجت « سياسة خارجية ثورية ، لكن هدفها قد يكون دفاعيا . أنها قد تكون حقا مخلصه في ما تعلنه من الاحساس بالخطر . لكن السمة المميزة للسلطة الثورية ليس كونها تشعر بالتهديد ... بل الا يوجد ما يكفل توفير الطمأنينة لها . ان الامن المطلق — تحييد الخصم — هو وحده الممكن اعتباره ضمانة كافية ، وهكذا فإن رغبة دولة واحدة بالامن المطلق تعني عدم الامن المطلق لجميع الدول الأخرى » (٢) .

ان تاريخ العلاقات بين الدول العربية واسرائيل هو أساسا تاريخ التصادم بين دول تتناهبها المشاعر الثقلة لافتقار الأمان . ان سياسة اسرائيل في السيطرة المطلقة المنطلقة من اعتباراتها الامنية ، حالت دون وصول فريقى النزاع الى أية صيغة للتسوية . وعلى هذا فالواجب الآن هو التفاوض من أجل تسوية كفيطة بتوفير ما تفتقده اسرائيل من احساس بالامن ، انما دون أن تكون التسوية قائمة على مفهوم السيطرة . وكون دكتور كيسينجر قد سعى للتوصل الى تسوية بين الفريقين المتصلين بالنزاع يكشف بوضوح ان تفسيره للاحتياجات والمطالب المصرية يقوم على الاساس ذاته .

منذ عدة سنوات ، يلاحظ مراقبون ان مصالح مصر الاساسية قد تحولت بصورة بارزة . لقد قيل انه بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، بدأت الطبقة التكنوقراطية والنخبة الصانعة للسياسة المصرية ، بالضغط من أجل سياسة التنمية الداخلية التي عرقلها في الماضي انغماس مصر المباشر في شؤون العالم العربي وعلاقتها العدائية مع الغرب . ان التراخي المتدرج لسياسة عبدالناصر النشطة في العالم العربي ، وتوصله الى التفاهم مع منافسيه وخصومه السابقين — مع ان هذا كان نابعا جزئيا من رغبته في الحصول على مساندتهم السياسية والمالية لدفاع مصر عن نفسها امام اسرائيل — والتشديد على هذا الخط في عهد الرئيس السادات ، أوجد وهما بأن مصر مهياة ، في ظل ظروف معينة ، لفك ارتباطها بالنزاع العربي — الاسرائيلي . وان هم الوسيط اذن ، هو أن يدبر تسوية تستهدف اعادة الكرامة الى مصر ، وفي الوقت نفسه توفير أمنها .

ومع ان تطور سوريا وارتباطاتها تختلف عن مصر ، الا أنه تم التوصل الى تشخيص مماثل لوضعها . لقد كان هناك توكيد على ان التزام سوريا المطلق بالكفاح الفلسطيني ، هو دالة على رفضها للتجزئة السياسية في العالم العربي ، وهي تجزئة ناتجة عن تأثير الكولونيالية الأوروبية . ومن ثم فإن عدااء سوريا لإسرائيل يمثل جزئيا دفاعا عن الوطن القومي العربي . ومع ذلك فإن صانعي السياسة الأمريكية يظنون بأن تطور السياسات السورية في العقد المنصرم يدل على ان سوريا توصلت الى التفاهم مع الحقائق الجديدة في العالم العربي ، وهي حقائق تعطي الشرعية للدول القائمة .

وبهذا يصبح جليا ان مقاربة كيسينجر للنزاع تقوم على محاولة لتلبية معقولة للآمال الوطنية لمصر وسوريا — طالما تميزت عن آمال أشقائهم من العرب — بأسلوب ذي شقين : من جهة اعادة كرامتهما برد مناطقيهما المحتلة من قبل اسرائيل ، ومن الجهة الأخرى بالاستجابة الايجابية لحاجتهما للنمو الاقتصادي عبر المساعدة الأمريكية الاقتصادية المباشرة والأمريكية — العربية . ان اتفاقيات فصل القوات ، ومتابعة السعي من أجل اتفاقيات مؤقتة أخرى تستهدف تحقيق انسحابات اسرائيلية أخرى ، تمثل مجهودات للفصل بين فريقى النزاع والمباعدة بينهما بصورة كافية لتبديد المخاوف